علاقة الألوان بالإنسان حقيقة أم خيال ؟

هل حصل ان تأملت في لوحة زيتية تغلب عليها الالوان الفاتحة او الوان الباستيل فشعرت بسلام نفسي وراحة لا مثيل لها، شحنتك بطاقة متجددة مميزة من الامل والرجاء.

هل انت من الاشخاص الذين يتأثرون سلبا ويشعرون بتكدر واحباط وكآبة مع بداية فصل الخريف وتلبد السماء بالغيوم الرمادية وتساقط اوراق الاشجار الصفراء الذابلة؟

هذا يعني حتما، انك تتأثر بالالوان. لا بد وانك تتساءل للتو، ما علاقة الالوان بالاضطرابات النفسية؟

لا بد انك على حق، فقد ندر من كتب في علم الالوان، او من تطرق الى تأثير الالوان في الانسان متقصيا علاقتها بحياته اليومية او باحثا عن دورها في تطوره الذاتي.

هذا مع العلم، ان مؤلفات المكتبة العربية التي سبق لها ان كتبت عن الالوان، او نوهت بواقعها، اكتفت بذكرها وتعدادها وتفسير ظواهر معانيها، دون الغوص في ابعادها وتدرجاتها وتأثيراتها في النفس البشرية!

وحده «الايزوتيريك» تناول من جملة ما يتناوله، الالوان كعلم، يصلح لان يدرس ويدرس ويمارس حياتيا في ضوء وسائل الافادة من ميزات الالوان التي يقدمها. والتجربة اكبر برهان.

قلة يدركون ان للالوان وجود في باطن الانسان، تتفاعل عبر الواقع الحي الذي يجسده الحقل «الكهرطيسي» الذي يحيط بالجسد المادي، كما اعترف العلم بذلك، ويدعوه الايزوتيريك الهالة الاثيرية او الجسم الباطني الاثيري، والذي يعبر اصدق تعبير عن وجود الباطن الخفي بالوان ذبذبية مختلفة تمثل مفاتيح ألغاز النفس البشرية والشخصية الانسانية.

فالايزوتيريك الذي يختص بعلم باطن الانسان، وباطن كل شيء في الطبيعة والوجود، يلقي الضوء على المجاهل، ويكتشف الخبايا والخفايا وكل ما يتعلق بصالح الانسان، في سبيل التطور الذاتي والتوسع في الوعي على مختلف الاصعدة.

ومن هنا تبرز اهميته كعلم، بل كواقع حياتي معيوش، يربط المادي باللامادي، الذبذبة بالذرة في منطق علمي متجانس، ويغوص في امازون باطن الانسان.

من هذا البعد الباطني الانساني، كان لنا هذا الحوار مع الرائد الدكتور جوزف مجدلاني، الذي قدّم علوم الايزوتيريك الى لبنان والعالم العربي في ثمانية وعشرين كتابا، متنوعة المواضيع وشاسعة الابعاد والذي من خلال اختصاصه ومركزه كمؤسس لمركز الايزوتيريك، سنسبر غور علم الالوان.

حوار: **جورج معلولي**

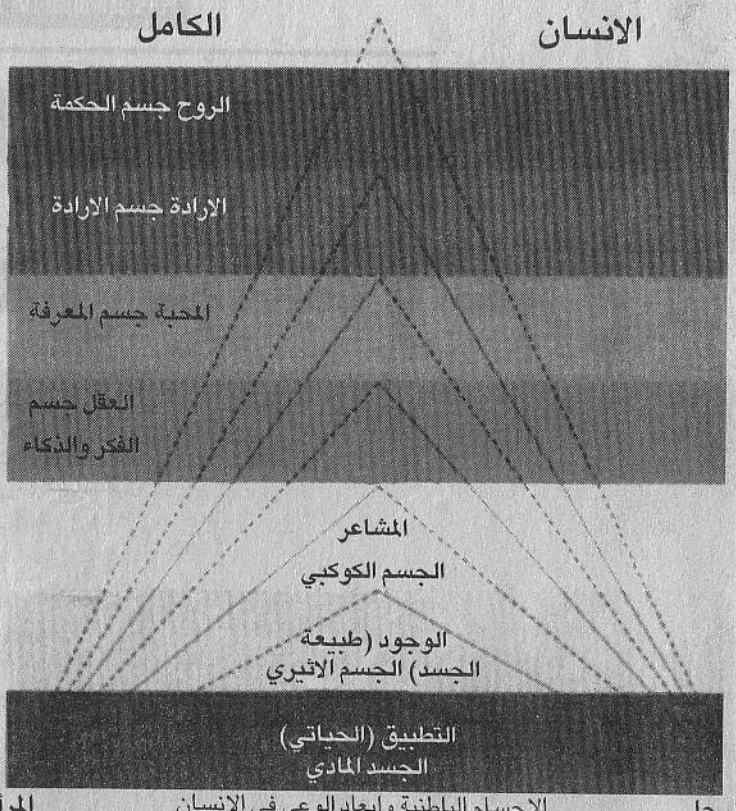

■ الى اي حد تعتبر معرفة الايزوتيريك صحيحة؟

□ معرفة الايزوتيريك بحد ذاتها حقيقة. والحقيقة ازلية. فيما الصحيح كلمة ارضية ضيقة المعنى. اهمية معرفة الايزوتيريك، انك تستطيع ان تتحقق منها اذا ما قمت باختبارها بنفسك كما اختبرها العديدون من قبلك. ولولا حقيقتها الملموسة وصدق النتائج التي تقدمها لما توسع الايزوتيريك وانتشر بسرعة بين المثقفين ورجال الفكر والعلم على اختلاف مشاربهم، ولا اقول بين الآلاف المنتسبين الى الايزوتيريك في لبنان والعالم العربي، حتى في شمال افريقيا.

تاريخ الألوان

■ هل لك ان تخبرنا عن بداية تاريخ الالوان، ماهيتها، كيف تعرف الانسان القديم اليها وادخلها في حياته ومعتقداته. ثم كيف تحولت من مجرد معلومات الى علم قائم بذاته؟

□ الالوان كامنة في باطن تكوين الكائن البشري، هي الوان الهالة الاثيرية والاجسام الباطنية الاخرى التي تعكس صفاتها في التصرف والمعاملة. الالوان هذه، هي اشعة ذبذبية لونية، وليس مجرد الوان مادية محض.

هذه الاشعة اللونية هي التي تظهر في الهالة الاثيرية المحيطة في كل انسان، من هذا المنطلق، نرى ان علم الالوان هو علم ذاتي باطني اكثر منه ظاهري او مادي لانه خاص بمكونات الانسان التي لا تراها العين، بل تتفاعل في النظر. فاللون الداخلي هو الصفة الأصل والظاهري انعكاس. من المعروف ان الاشعة اللونية وجدت منذ وجود الخليقة، والوانها كامنة في الشمس وتظهر عبر الموشور PRISME، كما تظهر الالوان نفسها في الهالة الاثيرية المحيطة بالجسد المادي.

لكن العلم الحقيقي للالوان ظهر قبل بداية التاريخ المدون بآلاف السنين..

لقد كان من بين انجازات علماء القارة المفقودة «الاتلانتيز» ATLANTIES الذي لا يزال يحمل تسمية المحيط الاطلنتيكي او الاطلسي، والذي بدأ العلماء المعاصرون بكشف اثارها للعيان.

لقد ادخل الانسان القديم الالوان، اول ما ادخلها في طقوسه وعباداته، فظهرت الاثواب المكرسة للصلاة، تحمل الالوان الثلاثة الاساسية: الاحمر القرمزي، الاصفر الفاتح، والازرق السماوي... اضافة الى اللون الابيض لمراتب الرفعة والسمو.. (علما ان اللون الابيض ليس لونا بحد ذاته اذ انه مجموعة الالوان في دوران سريع).

وقد بلغ الشغف بالشعب القديم، الى حد انه اوجد لغة الالوان، فصار كل لون يرمز الى صيغة او معنى معين في حياته، فاذا ما ارتدى المرء اللون الاحمر الدموي، فذلك يعني الاستعداد للقتال.. واللون الاصفر الداكن رمز الى الحقد والضغينة... بينما الاخضر مثال السلام، والازرق صفاء النية وطيب المودة، الى ما هنالك من صفات...

وما لبث ان انتشر ارتداء الثياب الملونة بين فئات الشعوب القديمة مجسدة الطبقية في ذلك الوقت، اذ كان لكل طبقة لونها المميز.

ويخبرنا التاريخ القديم ان اللونين البنفسجي والارجواني كانا حكرا على الملوك والامراء. اما الاخضر والاصفر والازرق، فهي الوان خاصة بالكهنة.

فيما تم تخصيص اللون القرمزي للقادة والرواد. اما الاطباء والعلماء فكان البرتقالي لونهم المميز. فيما كان اللون النيلي خاصا بالقضاة والمحامين، واللونان البني والرمادي وسوى ذلك من الوان داكنة، فكانت من نصيب عامة الشعب.

الا ان الالوان كعلم خاص بالبعد الباطني في الانسان، لا يزال محصورا في مدارس الشرق الاقصى، حيث يدرس للمتخصصين..

وها هو ينطلق رويدا رويدا الى العالم.. ليس كغاية بحد ذاته، بل لانه محطة على درب معرفة الذات، وأحد علوم باطن الانسان التي يتوجب على المرء او طالب المعرفة الالمام بها لفهم نفسه وميزاته اللاواعية.

مركز الألوان في الإنسان

■ ذكرت ان الالوان تظهر في الهالة الاثيرية المحيطة بكل شخص. فهل من مركز لها في كيان الانسان؟

□ نعم، هي تملك عدة مراكز في الكيان الباطني للانسان. وتظهر على «شاشة» الهالة الاثيرية، كدوائر في دوران مستمر تدعى «الغدد الاثيرية» المعروفة بالـ«شاكرات» (مفردها شاكرا) ومواقعها موازية للغدد المادية.

فهي المراكز الباطنية التي تتجمع فيها الالوان وتظهر بكثافة. هي مراكز تغذية خاصة بكل جسم باطني، تزوده بالطاقة والحياة والحيوية. لذلك فان الجسد المادي يستمد استمراريته من تلك الذبذبات الاثيرية الملونة التي تتوارد من الفضاء الى الغدد الاثيرية وتغذي الكيان الباطني في الانسان.

■ يبدو ان الايزوتيريك يشرح الالوان بطريقة لم يسبق لها مثيل، فما هو اللون في نظر الايزوتيريك؟

الدكتور مجدلاني (تصوير: طوني مراد)

□ للتذكير مرة اخرى، اننا عندما نتحدث عن الالوان، لا نقصد الوانا مادية، بل اشعة ذبذبية لونية قائمة في ابعاد وعي الانسان. هي بالاحرى اشعة وجود وذبذبات حياة، تحمل صفات وميزات ذلك اللون.

في ضوء هذا الواقع، تعتبر الالوان ذبذبات الحياة بعد ان تجسدت في الوعي. لان الذبذبات هي دليل صيرورة الحياة وليست ذرات. والمكان الذي يفتقر الى ذبذبات اي الى الوان، تنعدم فيه الحياة.

تفيد علوم الايزوتيريك بان الذبذبة اللونية لا تدل على حاجة او شيء مادي ملموس، بل ترمز الى مستوى وعي او الى ميزة معينة. (بالرغم من ان لون ثوب ما، او لون حائط مثلا، لا يمثل درجة وعي هذا او ذاك، لكن لون الثوب الازرق مثلا، قد يستثير مشاعر المحبة لدى الانسان، والاحمر الناري الرغبة..).

الذبذبات اللونية، غير مرئية الا لمن تفتح لديه البصر الباطني، او شفافية الرؤية.. ليستشف الذبذبات والوانها على طبيعتها، ويفهم رموزها ويدرك لغتها.

■ ما الفارق بين ذرات الحياة والذبذبات اللونية؟

□ الذبذبات هي محركة الذرات (اي هي التي تحرك الالكترونات والبروتونات والفيوترونات في الذرة) وهي التي تحوي عناصر الكينونة والحياة اي البعد اللوني التجسدي. بتعبير آخر الذرات هي طاقة كامنة او حياة بالقوة.. في حين ان الذبذبات حياة بالفعل. لذلك نستنتج ان الالوان هي جسد الذبذبات، جسد الحياة. فلا الوان من دون حياة، ولا حياة من دون الوان.

معاني الألوان ورموزها

■ كيف نفهم رموز الالوان ومعانيها؟

□ ـ اللون البنفسجي الشفاف اذا ما ظهر في هالة شخص ما، يرمز الى الصفات الروحية الراقية.

ـ الارجواني رفعة واجلال.

ـ الاحمر القرمزي لون قوة الارادة.

ـ الاحمر الرقيق يدل على الحب.

ـ الاحمر الناري، يرمز الى الشهوة الجنسية.

ـ الازرق الشفاف رمز المحبة، العطاء ونكران الذات.

ـ الاصفر الشفاف يرمز الى قوة الفكر والمخيلة.

ـ الاحمر القاني يرمز الى الشخص الذي يطغى عليه حب الماديات والارضيات.

ـ البرتقالي رمز الحيوية والنشاط.

ـ الاخضر رمز الهدوء، السلام والسكينة الباطنية، وهو ايضا رمز الحياة النابضة في الكيان.

ـ النيلي يمثل السمو والصفاء والنقاء والتالق والمقام الجليل، لانه يجمع صفات الالوان الاساسية الثلاثة فهو يمثل الحكمة ايضا.

ـ الاحمر الصارخ يرمز الى العنف والعدائية والملذات الدنيوية.

ـ الازرق الداكن يعني التصلب والتعصب في الفكر والمعتقد، ويعني ايضا الانانية وايثار المنفعة الشخصية والبغض والكآبة.

ـ الاصفر الداكن يشير الى الحقد والكره والحسد، وكذلك الى التشويش الفكري والاضطراب العقلي.. وايضا الى الارهاق والقلق.

ـ الاخضر الضارب الى الاصفرار او البني، يدل على غياب الراحة النفسية والاطمئنان، الانانية، الخوف، التردد والكبت النفسي.

ـ البرتقالي الضارب الى البني رمز الجشع المادي، رغبة التسلط، الاضطراب النفسي، والحرمان العاطفي ايضا.

ـ النيلي الداكن المائل الى الاسود، يرمز الى الحزن، مشاعر القلق، عدم الصدق والصراحة، العجرفة والفظاظة.

ـ البنفسجي القاتم او الضارب الى الحمرة، يعني الانزواء والانغلاق والغرور والمكابرة وانعدام اللياقة.

ـ البني يعني الشك والاضطراب والخوف.

ـ اللون الترابي هو صفة التردد والخجل والوقوف على الحياد، وكلما دكن هذا اللون دل على التلكؤ والجمود والتقهقر.

ـ الفضي الضارب الى الزرقة، يمثل الرغبة في الاستطلاع، حب المغامرات والتعرف الى كل جديد. هذا اللون هو رمز عالم المادة والشكل.

ـ الرمادي الداكن يشير الى الضجر والفراغ والرتابة وعدم التفاعل مع المحيط الخارجي، وايضا الفضول لاشباع رغبة ما او نزوة.

ـ البنفسجي الضارب الى الزهري، هو لون البحث في خفايا النفس والتعمق في دراسة الذات اما اذا دكن هذا اللون ومال الى الحمرة، فيرمز الى الغرور وايثار النفس والانانية.

ـ الزهري، رمز الهدوء والطيبة والبراءة والمودة الصادقة والحب المنزه عن اي مأرب شخصي. لكنه اذا مال الى الاحمر الناري اشار الى انه بدأ يختلط بالرغبة الجنسية او ان هذه الرغبة بدأت تطغى على صاحبه.

علما ان هناك الوان اخرى لم نأت على ذكرها اذ انها تعتبر تدرجات مختلفة تندرج تحت قائمة الالوان الآنفة الذكر. وكلما شف اللون سمت صفاته والعكس صحيح.

من هنا، يمكن التشخيص بواسطة الالوان.

اما اللون الاسود، فهو ليس لونا، بل انعدام الالوان..

فيما اللون الابيض هو امتزاج كل الالوان في سرعة كبيرة، وليس لونا بحد ذاته، لذلك لا يندرج هذان اللونان تحت قائمة الالوان.

تأثير اللون على تصرفات الإنسان

■ ما مدى تأثير اللون على الانسان وحياته اليومية وتصرفاته؟

□ من خلال ما تقدم، نوضح للقارئ ان الالوان هي تجسيد لذبذبات تتفاعل مع بعضها البعض وهذا التفاعل يحصل بين العالم الخارجي المحيط بالانسان، والعالم الداخلي الكامن ضمنه.

على سبيل المثال، اذا تعرض البصر لرؤية اللون الاخضر (رمز الهدوء والانسجام)، فان ذبذبات اللون الاخضر الكامنة في هالته وفي اجسامه الباطنية تتلقى هذه الاشارة الخارجية التي بثتها ذبذبات اللون الاخضر في المحيط الخارجي، ويتفاعل معها بما يشبه تموجات مغناطيسية كهربائية.. بمعنى ان نوعا من الاتصال غير المنظور، ينشأ ما بين الخارج والداخل، مما يجعل الاجسام الباطنية تتلقى خصائص اللون الاخضر الداخلي.

بهذا تكتسب الاجسام الباطنية اي اجهزة الوعي الخفية مزيدا من ذبذبات الهدوء والانسجام التي تساعدها على التصدي لاية حالة عصبية قد تتعرض لها، فهذه ليست سوى حصيلة فقدان المناعة الداخلية، اي عنصر المقاومة الذاتية، وكلما قوي عنصر المقاومة الداخلية، فان اي عامل سلبي سيفشل في اختراق الكيان، والامر صحيح بالنسبة الى بقية الالوان لمعالجة الحالات النفسية الاخرى، بذلك تتحسن تصرفات الانسان مع نفسه والآخرين، ويرتقي الى مسار التطور الذاتي.

الألوان وسيلة شفائية

■ كيف استعملت الالوان كوسيلة شفائية؟

□ اول من استعمل الشفاء بالالوان في الحضارات القديمة، كان كهنة بلاد ما بين النهرين، ثم كهنة مصر الفرعونية وبلاد الاغريق. وكان التطبيب على نطاق عام، لما للذبذبات اللونية من تأثير مغناطيسي في الجسد، عن طريق المكونات الخفية في الانسان. فكانوا يستعملون على سبيل المثال اللون القرمزي لتقوية الارادة وازالة التردد والخوف من النفس.. واللون البرتقالي لشفاء الامراض العضوية واللون الاخضر لمعالجة الامراض النفسية.. واللون الزهري لاراحة الاعصاب وتهدئة مشاعر الغضب.. واللون الازرق لتنشيط الجسم والاصفر لتقوية الذاكرة والفكر.. واللون البنفسجي لطرد الارواح الشريرة.. الى ما هنالك من الوان وصفات لها.

والجدير ذكره ان علم النفس الحديث بدأ يتنبه الى تأثير الالوان في النفس البشرية، ويلقي الضوء على بعض خصائص الالوان وما تفعله من تأثير مباشر او غير مباشر في حالة الانسان النفسية. غير ان علم النفس ما زال يفتقر الى معرفة ذلك البعد الباطني في الانسان، فهو لا يفسر حقيقة او سبب كينونة تلك التأثيرات، او الصفات والميزات الكامنة فيها.

لقد اوضح علم النفس جزءا من العلاقة القائمة بين اللون والروح البشرية، لكنه لم يتطرق الى تأثير الالوان في كيان الانسان ككل، ولم يشرح العلاقة بين اللون ومعناه، او بينه وبين مكونات الانسان الخفية (اجسامه الباطنية).

ولعل هذا ما دعا رائد التحليل النفسي الحديث، كارل يونغ (والذي كان احد طلاب الايزوتيريك) الى القول بان علم النفس الغربي ما زال طفلا بالنسبة الى «علم النفس الشرقي». وهذا ما اعتمده الاطباء المعاصرون، في طلاء جدران عياداتهم كما يلاحظ عند زيارتهم بالالوان الفاتحة.

■ لكن، هل تكفي الالوان علاجا للحالات النفسية؟

□ كلا بكل تاكيد، والا لانتفت الامراض من الوجود، فهذه الالوان كائنة في كل مكان تقريبا. الالوان تساعد على الراحة، وفي الراحة الشفاء، كما تساعد على تخفيف بعض الحالات العصبية واراحة النفس واكتساب صفات وميزات جديدة.. وهنا اشدد على القول بانها «تساعد» ولا «تضمن» الشفاء او الراحة، والسبب انها اضعف من ارادة الانسان ومقدرته الذاتية.

من الغباء الاعتقاد ان من شاء اكتساب ذبذبات المحبة مثلا او صفة المحبة وجب عليه ان يرتدي كل يوم ثوبا او قميصا ازرق اللون كما يدعي المتحذلقون!

فذلك سيعرضه للسخرية ولن يفيده في شيء. يجب عليه ان يسعى بنفسه، وهذا هو الاهم، الى تطبيق مشاعر المحبة عمليا في حياته مع الناس، لتتأثر تصرفاته بها وبالتالي يؤثر بهم.

ثلاثة عناصر اساسية يجب ان تتوافر ليتحقق هذا التاثير في النفس وفي الغير:

١ – الارادة الذاتية في اكتساب المحبة. فالارادة هي الصفة الوحيدة والقادرة على تمهيد السبيل وتذليل المصاعب على درب التطور الذاتي.

٢ – العمل على تطبيق صفات المحبة تدريجا في تصرفاته وفي تعامله مع الآخرين اثناء ممارسة اعماله اليومية.

٣ – الثقة والايمان بان ذبذبات اللون الازرق الخارجي ستساعده في تقوية ميزة اللون الازرق الكامنة في اجسامه الباطنية.. وانه ان لم يعمل بثقة وايمان بموجب تلك الميزة، فان اللون الازرق في اجسامه الباطنية سرعان ما يعود الى التقلص.

اذا ما توافرت هذه الشروط الثلاثة، فان اللون الازرق الخارجي سيؤثر ايجابا بكل تاكيد في مثيله من الاجسام الباطنية، وسيساعد المرء على المزيد من التطور الذاتي عبر اكتساب عنصر المحبة.

ولا ننسى ان الارادة في مساعدة نفسه هي سبب النجاح اولا واخيرا. وينطبق الامر نفسه على ميزات باقي الالوان.

الالوان.. وقوة الارادة

■ هل ان مساعدة الالوان ضرورية على مسار التطور الذاتي، لاكتساب الخصائص والميزات النفسية؟

□ يجب ان لا يسهو عن البال، ان الالوان لا تساعد لوحدها، فاكتساب الخصائص الجديدة والارتقاء على مسار التطور الذاتي يتم من خلال التطبيق الحياتي لكل ما اتينا على ذكره.. من دون ان ننسى الارادة القوية والمثابرة، كذلك تقوية التركيز الذهني والتعمق في التأمل الباطني.

بعدئذ لا لزوم للاستعانة بالالوان الخارجيّة. علما ان الاستعانة بها يساعد البعض على توسيع مساحة الالوان الكامنة في الاجسام الباطنية مما يسهل تحقيق المراد. نعود فنذكر بان الالوان وحدها من دون قوة ارادة تعززها ثقة بالنفس ومجهود فردي وتطبق عملي.. لا تجدي نفعا ولا تدفع نحو التطور الذاتي المنشود.